قراءة جديدة في آية كمال الدين

المقدمة

من المؤكد أن موضوع كمال الدين يحظى بأهمية بالغة عند المسلمين وعلمائهم، وهو مرتبط بموضوع شمولية الدين الإسلامي وخاتمية النبوة، ومرتبب أساساً بالآية القرآنية التي يظهر منها أن الدين قد اكتمل في زمن النبوة.

مشكلة البحث

ثمة غموض في مسألة إكمال الدين، فما هو معنى الإكمال؟ هل يعني أن كل الأحكام المتعلقة للدين قد تم تشريعها تفصيلاً بنحو شامل؟ بمعنى أن الله تعالى هل شرع للأخلاق والعقيدة أحكاماً تفصيلية كاملة وكذلك لموضوعات الفقه؟ غير الجواب بإيجاب يواجه إشكالية مفادها أن الاكتمال - مع غض النظر عن الأخلاق والعقيدة - في خصوص أحكام الفقه يغدو مستبعداً؛ إذ كيف يمكن أن يشرع أحكاماً لموضوعات لم تحدث بعد ولم توجد في زمان التشريع، فمن المستبعد أن يشرع الله تعالى مثلاً حكماً لموضوع زراعة الأعضاء مع أن هذا الموضوع لم يكن معروفاً في زمن التشريع، ومن هنا يغدو السؤال عن حقيقة كمال الدين ملحاً وهادفاً من أجل التعرف على تلك الحقيقة.

هدف البحث

التعرف على حقيقة الإكمال في الدين من خلال استظهار معناه من أهم دليل على ذلك وهو الآية القرآنية المعروفة بآية إكمال الدين؛ مضافاً لما ذكر في ذلك من أدلة أخرى، ومحاولة تقويم ما طرحه العلماء من قراءات لهذه الآية المباركة، والتعرف على نقاط الضعف والقوة في تلك القراءات، ومن ثم إبراز ما يكون الأقرب للصحة وفقاً معطيات محددة نتكلم عنها لاحقاً.

الدراسات السابقة

ثمة قراءات مختلفة تناوبت على موضوع كمال الدين، وذلك عند التعرض لآية اليوم أكملت لكم دينكم، وكان العلماء المتقدمون قد قدموا تلك القراءات ضمن مؤلفاتهم التفسيرية للآية المباركة وغير التفسيرية أيضاً، ومنها: تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، ج ٦ ص ٧٩. ومنها: أحكام القرآن للجصاص الحنفي (٣٧٠هـ)، ص ٨٩٤. وكذلك جلال الدين السيوطي في كتابه الإتيان في علوم القرآن (٩١١هـ) في ج ١ ص ١٠٦.